

## الاختزال باستثناء الاحتواء

كل رأي يهم للغاية. ولو أنني تمكنت من تحليل جميع الآراء الإحدى وعشرون في نفس الوقت، لفعلت ذلك في سبيل إظهار وحدة الاستراتيجية والسلوك الاستراتيجي. لأن مثل هذه المعالجة الشمولية هي غير عملية من الناحية التحليلية، فالنظرية العامة مقسمة بشكل عشوائي إلى زمرتين من الأهمية، وإن كان هنالك حد فاصل بسيط بينهما. لقد وضع الفصل الأول وشرح بأكثر قدر من التعريف مزايا الاستراتيجية. في حين أن الفصل الثاني يدرس بقية الموضوع. إن مواضيع الآراء المتبقية هي في جميع الأحوال هامة وفي الواقع هي هامة للغاية حيث أن المساوئ المتعارضة في أي منهما، بصرف النظر عن سبب اكتسابها لها، تمتلك القدرة على إلحاق الضرر بتوقعات النجاح الاستراتيجي والسياسي بشكل إجمالي.

قد يكون من المفيد استنكار تحذيرين منهجين، الأول، البحث الجدير بالثناء بشأن الاقتصاد في النظرية هو مسؤول دوماً عن توجيه واضع النظرية إلى خطأ الاختزال غير المناسب. إن الاقتراح النظري الممتاز بأن الصغير جميل قد يوقع واضع النظرية في شرك تصديق ذلك. وفي هذه الحالة، فإن الاستراتيجية تكون بشكل جوهري عن ..... " واختيار ما تفضله من سياسة أو تكنولوجيا أو فرص أو خداع أو مال وهلم جرا، وللأسف، من أجل التوضيح، وبشكل خاص فيما يتعلق بجودة الأداء الاستراتيجي فإن الاستراتيجية لا تتعلق بشكل جوهري بأية ميزة واحدة. فإن الحاجز القنفي الاستراتيجي لا يمكن الوثوق به في حال حاول إقناعنا بأن هنالك مفتاح ذهبي واحد فقط للتفوق الاستراتيجي. فمن الناحية العملية، هنالك الكثير من هذه المفاتيح، وفي حال البلى الشديد أو ضياع واحد أو اثنين من المفاتيح أو ربما في حال كانت الأفعال المناسبة لها غير قابلة للفتح، فإن كامل مشروع الاستراتيجية يمكن أن يفشل أيضاً. ومن حيث المبدأ، فإن الوضوح فضيلة، ولكنه يتوقف عن كونه كذلك في حال تحقيقه عن طريق التبسيط المفرط الذي يقود إلى التضليل. عندئذ يمكن أن يكون الوضوح مجرد خطأ بشكل واضح.

ثانياً، إن المساعي المبذولة لمكافحة خطر الاختزال غير السليم تؤدي كثيراً بوضع النظرية الاستراتيجية إلى الوقوع في إشكالية الشمولية الهوجاء والتي تنزع إلى سوء العلم

والمعرفة. فقد يكون التطبيق المقدم من قبل واضع النظرية غنياً إلا أن الممارسين الاستراتيجيين سيعانون من عسر الهضم في حال كانوا من الحماقاة لدرجة أن يتعاملوا مع واضع النظرية ومنهجه التحليلي بطريقة جدية كما يفعله هو. لقد حذر كلاوزفيتز بشكل رائع من التحليل الذي يتعامل بشكل مستقل وحصري مع ما يجب ملاحظته بشكل بنية، ككل، ولكن تبقى حقيقة أن واضع النظرية الاستراتيجي يجب أن يحدد بطريقة أو بأخرى أسلوباً تحليلياً قادراً على التوفيق بين المجموعة المتنوعة المحيرة من مزايا الاستراتيجية. إن الآراء العشرين المقترحة في هذين الفصلين، الأول والثاني، تقع على مقربة من الشمولية غير الحكيمة على نحو خطير. حتى عندما يعتبر بأنه من الجدير إدارة المخاطر في حال توجب على الشخص توجيه خطر الاختزال المفرط بشكل يسير وواضح. ونذكر كأمثلة على الأخير، بأنه على الرغم من كون المؤلف معجباً كبيراً بكل من باسل هـ. ليدل هارت وإدوارد ن. لوتواك، إلا أنه غير مطمئن تماماً لأساليبيهما المتعلقة بالاستراتيجية. حيث أن الأول قد جادل من أجل الأهمية المركزية لما قد سماه "الأسلوب غير المباشر"، في حين أن الأخير قد جادل من أجل سلطة المفارقة والتهكم. الفكرتان مهمتان، ولكن على الرغم من كونهما مقنعتين بشكل كامل وفقاً للأحوال الخاصة بهما إلا أنهما أيضاً صارمتين تماماً وبشكل كامل للوفاء باحتياجات ومتطلبات النظرية العامة للاستراتيجية. وفي سبيل تطبيق الاتحاد المقبول بين الاقتصاد والثراء، فإن الكتاب الحالي يختار أسلوباً مرتجىً منه مقدماً غير معرفي من حيث المظهر والنتيجة من خلال توفير حدود داخلية واهنة على نحو متعمد. وكنتيجة لذلك، يعرض هذان الفصلان نظرية الاستراتيجية من خلال مجموعة من الآراء المرفقة والمكونة للأجوبة للأسئلة الأربعة الرئيسية فقط والمطروحة مسبقاً في الفصل 1: ما هي الاستراتيجية؟ كيف يتم وضع الاستراتيجية ومن قبل من؟ ما الذي تفعله الاستراتيجية؟ ما هي نتائجها؟ وكيف يتم تنفيذ الاستراتيجية؟

من الضروري التذكر دوماً بأن النظرية تكون في مجال الشرح والتوضيح وبأنه لا يمكن اختبارها في العلوم الاجتماعية كما في العلوم الفيزيائية. وللأسف، فإن هذه الحقيقة الحتمية والوجودية في الواقع هي غير مشجعة بما فيه الكفاية لمنع من يرغبون في أن

يصبحوا واضعي نظريات علمية للاستراتيجية من البحث عن مقياس متري لليقين والذي لا يمكن إحرازه. إن النظرية الاجتماعية العلمية المعالجة للسلوك البشري بموجب الشك في سياقات تاريخية فريدة والتي لا يمكن تكرارها، يجب أن تستوفي معايير الإثبات الواقعي حيث أن هنالك المعقولة (وإذا جاز القول، المنطق السليم) والقدرة التوضيحية. إن الجهود لمواصلة الدقة النظرية من خلال تطبيق مناهج العلوم الأكثر صرامة هي مجرد هدر للوقت، والأسوأ من ذلك أنها يمكن أن تضلل الشخص الساذج بشكل مفرط. ومن الصعب تحديد الإجابة الاستراتيجية الصحيحة أو الإجابة الاستراتيجية الصحيحة الكافية عندما يكون العدو قادراً على التنفيذ، ليس كما هو الحال في التجربة المنظمة والموجهة، وإنما بطريقة مقيدة فقط بتصوره وقوة دافعه ومهارته وإمكانياته في حين أن السلوك يكون أيضاً وعلى الإطلاق عرضة لأن يكون نتيجة للاحتكاك والفرصة. ويتم تنفيذ الاستراتيجية بطريقة تنافسية عن طريق اثنين، وأكثر في العادة، من المتنافسين المتقيدين ببعض من القواعد. وفي الحقيقة، فإن تعريف مصطلح المشاركة الاستراتيجية والقواعد يشكل جائزة أساسية ومن المحتمل أصلاً صافياً كبيراً في صراع اليوم. وفي حال تعمق القراء الذين يمتلكون خلفية في العلوم الفيزيائية في هذا الكتاب، فإنه يتوجب عليهم القبول بدرجة من التعلم الثقافي العلمي الاجتماعي بحيث أنهم يكونون مستعدين للتحرر من استيعابهم لمتطلبات النظرية القابلة للاختبار.

هنا، في الفصل 2، يكمل عرض النظرية العامة للاستراتيجية المشروع الذي بدأ بالرأي الأول إلى الرأي التاسع في الفصل 1. وهو يتقدم من خلال مجموعات من الأجوبة والموضحة على شكل رأي للأسئلة الجوهرية والأساسية حول الاستراتيجية. إن خطة هذه الصفحات تتمثل في شرح: وضع الاستراتيجية (الرأي العاشر إلى الرأي الثالث عشر، والذين يعالجون عملية وضع الاستراتيجية والقيم والثقافة والشخصيات والخبراء الاستراتيجيين) والاستراتيجية المنفذة (الرأي الرابع عشر إلى الرأي العشرين، والذين يتناولون الصعوبات والاحتكاك وأنواع الاستراتيجيات والجغرافية والتكنولوجيا والوقت واللوجستية والعقيدة العسكرية) ونتائج الاستراتيجية (الرأي واحد وعشرون الذي يتناول التأثير التكتيكي والعملي والاستراتيجي).

## وضع الاستراتيجية

الرأي العاشر: يتم وضع الاستراتيجية بشكل نموذجي من خلال عملية الحوار والتفاوض.

لقد كان هنالك وسيكون هنالك استثناءات لهذا الرأي، إلا أنه من الآمن والأكثر تعميماً على الحالات الادعاء بأنه يتم تكوين الاستراتيجيات خلال العملية المستمرة للتفاوض والحوار بين الأطراف ذوي المصلحة وذوي السلطة والمدنيين والعسكريين. ولقد كان هنالك أمثلة على الاستراتيجيات التي تم اختيارها وتحديدها من قبل قائد وحيد أو عبقرى أو بخلاف ذلك من يأمر ولا يتفاوض. فإن الإسكندر الأكبر ونابليون بونابرت وأدولف هتلر هم القادة والخبراء الاستراتيجيين الرائعين الذين غالباً ما يتبادرون إلى الذهن بشكل واضح. وعند التركيز على الحرب العالمية الثانية، نجد بأن دول القوى العظمى المتحاربة تقدم مثلاً واحداً فقط عن الخبير الاستراتيجي الوحيد والذي كان في العادة رافضاً للنصائح والتحذيرات ولم يكن يسمح بالطبع بأي شيء يشبه عملية التفاوض بين الأطراف ذوي المصلحة وهو أدولف هتلر. وفي بريطانيا، والولايات المتحدة واليابان الإمبراطورية وأيضاً جوزيف ستالين في الاتحاد السوفياتي، كان وضع الاستراتيجية مشروعاً مشتركاً على الرغم من أن المسؤولية والمجد واللوم لم يتم تقسيمهم في العادة بشكل عادل على الإطلاق.

وأيضاً، كقاعدة عامة، يتم تكوين الاستراتيجية ومن ثم تعديلها باستمرار تقريباً على ضوء نتائج ساحات المعارك العديدة. إن اللاعبين خلال عملية وضع الاستراتيجية يسعون إلى الفائدة والمنفعة وأيضاً يتجنبون الخسارة من أجل مصالح قبيلتهم الخاصة بهم بشكل أو بآخر خلال الائتلاف المتقلقل بين الولاءات والثقافات وبعبارة أخرى كل حكومة أو كيان حاكم. وفي حال الحرب التي يتم شنها بشكل متكرر من قبل الأحلاف والتحالفات الدولية فإن وضع الاستراتيجية غالباً ما يستلزم التفاوض ليس فقط بين الأطراف ذوي المصلحة في الوطن وإنما أيضاً بين الحلفاء. ولا تستطيع النظرية الاستقرائية العامة للاستراتيجية

الادعاء بأن عملية وضع الاستراتيجية هي بالضرورة عملية عقلانية على نحو استراتيجي. فهي ليست كذلك. وبالطبع، يجب أن تكون هنالك محاولة جادة لتحديد طرق لمطابقة الوسائل العسكرية والوسائل الأخرى مع التأثيرات الاستراتيجية المرغوبة خدمةً للأهداف السياسية. ومهما يكن، فإن بعضاً من اللاعبين المؤسستيين وأيضاً الأشخاص خلال عملية وضع الاستراتيجية يكونون متأكدين من الترويج لنسخ استراتيجياتهم العقلانية الخاصة بهم والمصممة بذكاء. وقد تستوفي تلك النسخ بشكل جيد المعيار الأدنى للعقلانية، إلا أنها تكون بشكل كامل غير معقولة في تقييم الآخرين. حيث أنه خلال الحرب العالمية الثانية، على سبيل المثال، اقترح "البارونيون الانتحاريون" من سلاح الجو الملكي البريطاني وسلاح الجو الأمريكي بطريقة عقلانية تماماً بأنه يمكن ويجب هزم ألمانيا بواسطة قصفها بالقنابل فقط. وهكذا فإن نظريتهم العامة الخاصة بالقوة الجوية قد أصبحت عقيدة حيث وجهت خطأً معينة مخصصة لتحقيق النصر من خلال القوة الجوية (الاستراتيجية). ومؤخراً في عام 1999، اختلفت القوات الجوية الأمريكية وجنرالات الجيش على استراتيجية القصف بالقنابل لإجبار سلوبودان ميلوسوفيتش رئيس صربيا. وإن هذه الخلافات التي تعبر عن وجهات النظر الاستراتيجية العالمية والثقافات المؤسسية المتباينة، والممتلكة جميعها بإخلاص وصدق، هي مألوفة بشكل كامل. وفي الواقع، هي مألوفة جداً لأنه من الممكن الدفاع عنها بشكل واضح من خلال المجادلة بأنه يتم وضع الاستراتيجية وتعديلها بواسطة التفاوض. إلا أن هذا لا يعني إنكار الأدوار لكل من التخطيط العقلاني الدقيق الذي يحاول مطابقة الوسائل مع الغايات وأدوار الطموح والبدئية، ولا بد من وصفها بالعنصرية العرضية وأيضاً بالشخصية المختلة.

يحدد هذا الرأي الحوار والتفاوض أيضاً بين صانعي الاستراتيجية في سبيل التأكد من أن النظرية تتمسك بكل من العمليتين الرسمية وغير الرسمية. ويتكون صانعو الاستراتيجية في العادة من جماعة صغيرة جداً ذات عضوية متغيرة. سيكون هنالك حوار وتفاوض بين المدنيين والجنود وأيضاً بين المدنيين وبين الجنود. هذا ما يجب أن يحدث بشكل متواصل تقريباً على جسر الاستراتيجية. في كتابه المشهور والمثير للجدل، القيادة العليا، يؤكد إليوت أ. كوهين لسبب وجيه جداً بأنه "في الحقيقة، إن العلاقة بين الجنود ورجال الدولة (تختلف إلى حد ما عن العلاقة بين الجندي والدولة، حسبما ذكره كتاب مشهور (يرجى

الرجوع إلى كتاب سامويل بيه. هانتينغتون، الجندي والدولة: سي إس جي)) وهي تقع في صميم ما تدور الاستراتيجية حوله (موضوعها)". وربما يكون كوهين متجاوزاً الحد ولكن ليس إلى حد بعيد، فإن طرفي نطاق حوار الاستراتيجية موضحان بشكل جيد من خلال عمليات الأداء المتباينة بشكل واضح للرئيس الأمريكي وودرو ويلسون ورئيس الوزراء البريطاني ونستون تشرشل. حيث أن الأول لم يكن ذو اهتمام كبير بالمسائل الاستراتيجية إلى درجة أنه قد اجتمع بالقائد الأعلى، الذي تم تعيينه حديثاً لقوات الاستطلاع الأمريكية ، الجنرال جون جيه. "بلاك جاك" بيرشينج، لمرة واحدة فقط خلال الحرب، بتاريخ 24 مايو 1917، ولم يقل وبتصميم أي شيء على الإطلاق ذي مضمون استراتيجي. وعلى حد تعبير ملثم لواحدٍ من المؤرخين:

إن عدم اكتراث ويلسون كان له جانباً إيجابياً، حسبما أدركه الجنرال. "خلال التنفيذ الفعلي للعمليات" سيتذكر "لقد أُعطيت كامل الحرية ومن هذه الناحية استمتعت بخبرة فريدة في تاريخنا" إلا أنه أيضاً قد ترك الجيش محروماً بشكل كامل من التوجيه والإرشاد من قبل قائده الأعلى: رئيس الولايات المتحدة. لم تحارب البلاد بتلك الطريقة أبداً فيما مضى ولن تحارب كذلك أبداً مرة أخرى.

إن التباين الأكثر وضوحاً وحدة والقابل للتصور سيتم ملاحظته في محاولات تشرشل لتوجيه الجهود العسكرية لبلاده والتحكم بها في الميدان. وبالنسبة إلى حالة أكثر تطرفاً على الإطلاق من غزوات تشرشل العائرة في الاستراتيجية العسكرية في العادة، لا يحتاج المرء للنظر إلى أبعد من أدولف هتلر. ولحسن الحظ، نظراً لخدمة رؤساء أركانه فقد نأى الرئيس فرانكلين ديلاانو روزفلت بنفسه عن الاستراتيجية العسكرية لأنه كان مشغولاً بتصميم وإصرار في وضع السياسة والاستراتيجية الكبرى.